بسم الله الرحمن الرحيم

٣٥ – سورة فاطر

سميت بذلك لما جاء فيها من خلق الملائكة ، وجعلهم ذوى أجنحة متنوعة فى العدد ، الدالّ على عجيب صنعه تعالى وباهر قدرته .

وقال المهايمىّ : سميت بها لاشتمالها على بيان تفصيل رسالتهم ، من جهة أخذهم الفيض عن الله ، وإيصاله إلى خلقه ، من جهة أو جهتين أو ثلاث أو أكثر . ليشعر أن الرسالة العامة لهم ، إذا كانت كذلك ، فكيف الرسالة الخاصة ؟ مثل إنزال القرآن . فيجوز أن يكون له جهات كثيرة .

وقد روى أنه كان لجبريل ستمائة جناح . انتهى .

وتسمى هذه السورة سورة (فاطر) لذكر هذا الاسم الجليل والنعت الجميل فى طليعتها. وهذه السورة ختام السور المفتتحة بالحمد، التى فصلت فيها النعم الأربع، التى هى مجامع النعم. لأن نعم الله تعالى قسمان : عاجلة وآجلة . والعاجلة وجود وبقاء ، والآجلة كذلك إيجاد مرة وإبقاء أخرى . كما بينه الرّازى .

obeikandi.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١] (ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ)

[٢] (مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ)

« ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ » أى مبتدئها ومبدعها من غير سبق مثل ومادة « جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ » أى ذوى أجنحة متعددة متفاوتة فى العدد ، حسب تفاوت ما لهم من المراتب . ينزلون بها ويعرجون أو يسرعون بها . وفى الصحيح[١] أن رسول الله ﷺ رأى جبريل عليه السلام ليلة أسرى به، وله ستمائة جناح . ولهذا قال سبحانه « يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ » أى يزيد فى خلق الأجنحة وغيره ما يشاء ، مما تقتضيه حكمته « إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ * مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ » أى نعمة سماوية كانت أو أرضية « فَلَا مُمْسِكَ لَهَا » أى لا أحد يقدر على إمساكها « وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ » أى من بعد إمساكه « وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ » الغالب على كل ما يشاء « ٱلْحَكِيمُ » أى فى أمره وصنعه .

(١) أخرجه البخارىّ فى : ٥٩ ـ كتاب بدء الخلق ، ٧ ـ باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة فى السماء ، حديث ١٥٢٦ ، عن ابن مسعود .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٣] ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَـٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾

« يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ » أى إنعامه لتستدلوا بها على وحدته فى ألوهيته . لأنه المنفرد بإرسالها وحده . ولا يصح لمن انفرد بالإنعام أن يشرك معه غيره ، لأنه كفران له موجب لغضبه . وهذا ما أشار له بقوله تعالى « هَلْ مِنْ خَـٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ » أى المطر والنبات « لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ » أى تصرفون عن التوحيد الواجب ـ لأنه مقتضى شكر المنعم ـ إلى الشرك والكفر .

[library stamp]

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٤] ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾

« وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ » فيجازى المكذب وشيعته بالخزى وظهور الحق عليه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٥] ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾

« يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ » أى ما وعد به من جزائه بالثواب إن صدقتم فى الاتباع . وبالعقاب ، إن عصيتم « فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا » أى بأن يذهلكم التمتع بها والتلذذ بمنافعها ، عن العمل للآخرة وطلب ما عند الله « وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ » أى الشيطان . وقرئ بالضم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٦] (إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا، إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ)

« إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ » أى باتباع الهوى والركون إلى الدنيا .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٧] (ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ، وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ)

[٨] (أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا، فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ، فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ، إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ)

« ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ، وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ * أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا » أى : فمن حسّن له عمله السيء ، بأن غلب هواه على عقله ، حتى انتكس رأيه فرأى الباطل حقا والقبيح حسنا ، كمن لم يزين له ، بل هدى فعرف الحق وميز الحسن من السيء ؟ فحذف الجواب لدلالة قوله :

« فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ » أى إلى الإيمان واتباع الحق. وجوّز أن يكون تقديره : أفمن زين له سوء عمله ، ذهبت نفسك عليهم حسرة ، بقوله تعالى « فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ » أى فلا تهلك نفسك حزنا على ضلالهم وعدم اتباعهم لك « إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ » أى فيجازيهم عليه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٩] (وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ، كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ)

وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ، كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ » أى مثل إحياء الموات ، إحياء الأموات . وكثيرا مايستدل تعالى على المعاد بإحيائه الأرض بعد موتها ، ليعتبر المرتاب فى هذا . فإنه من أظهر الآيات وأوضحها .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٠] (مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ، إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ، وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ، وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ)

« مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ » أى الشرف والرفعة « فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعاً » أى فليطلبها من عنده ، باتباع شريعته ، وموالاة أنبيائه ورسله ، والتأسى بهم فى الصلاح والإصلاح، والصبر والثبات، واطّراح كل ملامة رغبة فى الحق وعملا بالصدق. وهذا كآية[1] (ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً) وكآية[2] (وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ) « إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ » وهو الداعى إلى الحق والإصلاح، والمنبه على سبل الضلال والفساد « وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُ » أى يرفع الكلمُ العمل الصالحَ ، على أن يكون المستكن للكلم . إشارة إلى أن العمل لا يقبل إلا بالكلم المؤثر فى إبلاغ دعوة الخير . والضمير المستتر للعمل ، والبارز للكلم . أى يكون العمل

(١) [٤ / النساء / ١٣٩] . (٢) [٦٣ / المنافقون / ٨] .

الصالح موجبا لرفعها وقبولها لأنه يحققها ويصدقها ، كما قال تعالى عن شعيب عليه السلام[1] (وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ، إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَاحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ « وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّئَاتِ » أى الأعمال السيئة المفسدة لصلاح الأمة وقيام عمرانها « لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ » أى يضمحلّ . لأن الحق يعلو ولا يعلى عليه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١١] (وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا ، وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ، وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ، إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ)

«وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا» أى ذكرانا وإناثا ، لطفا منه ورحمة « وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ » أى من أحد . وإنما سمى معمرا لما يؤول إليه . أى وما يمدّ فى عمر أحد «وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ » وهو علمه تعالى الذى سبق ، ببلوغ أصله إليه « إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ » أى : الحفظ والزيادة أو النقص ، سهل . لشمول علمه وعموم قدرته .

لطيفة :

الضمير فى (عمره) للمعمر قبله . باعتبار الأصل المحوّل عنه . لأن الأصل (وما يعمر من أحد) كما ذكرنا . أوهو على التسامح المعروف فيه ، ثقة فى تأويله بأفهام السامعين : كقولهم (له علىّ درهم ونصفه) أى نصف درهم آخر . أو للمنقوص من عمره لا للمعمر، كما فى الوجه السابق . وهو وإن لم يصرح به فى حكم المذكور ، كما قيل (وبضدها تتبين الأشياء) فيعود

(١) [١١ / هود / ٨٨] .

الضمير على ما علم من السياق . وقد أطال بعضهم الكلام في ذلك . ومحصله ، كما ذكره الشهاب، أنه اختلف في معنى (مُعَمَّرٍ) فقيل: المزادعمره. بدليل مايقابلهمن قوله (يُنقَصُ)الخ. وقيل (من يجعل له عمر) . وهل هو واحد أو شخصان ؟ فعلى الثاني هو شخص واحد . قالوا مثلا : يكتب عمره مائة ثم يكتب تحته مضى يوم، مضى يومان، وهكذا . فكتابةالأصل هى التعمير . والكتابة بعد ذلك هو النقص . كما قيل :

حياتك أنفاسٌ تُعَدُّ فكلما مضى نَفَسٌ منها انتقصتَ به جُزْءا

والضمير في (عمره) حينئذ راجع إلى المذكور . والمعمّر هو الذى جعل الله له عمراً طال أو قصر . وعلى القول الأول هو شخصان . والمعمر الذى يزيد فى عمره . والضمير حينئذ راجع إلى (معمر آخر) إذ لا يكون المزيد من عمره منقوصاً من عمره . وهذا قول الفرّاء وبعض النحويين . وهو استخدام أو شبيه به . انتهى .

ثم أشار تعالى لآيات أخرى من آيات قدرته ووحدانيته ، بقوله :

القول في تأويل قوله تعالى :

[١٢] (وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ، وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ، وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)

« وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ » أى شديد العذوبة « سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ » أى قوىّ الملوحة « وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا » يعنى السمك « وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا » أى زينة تتحلّون بها . كما قال تعالى[١] (يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ) . « وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ » أى تمخر الماء وتشقه بجريها « لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ » أى بالتنقل فيها « وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » .

(١) [٥٥ / الرحمن / ٢٢] .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٣] (يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ، ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ، وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ)

« يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى » يعنى مدة دوره ، أو منتهاه، أو يوم القيامة « ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ، وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ »أى فأنى يستأهلون العبادة. و (القطمير) لفافة النواة . وهو مثل فى القلة والحقارة .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٤] (إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ، وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ، وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ)

« إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ » لأنهم جماد « وَلَوْ سَمِعُوا۟ » أى على الفرض «مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ» أى لعدم قدرتهم على النفع «وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ» أى يقرون ببطلانه ، وأن لا أمرَ لهم فيه « وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ » أى لايخبرك بالأمر مخبر ، مثل خبير عظيم أخبرك به . وهو الحق سبحانه . فإنه الخبير بكنه الأمور دون سائر المخبرين . والمراد تحقيق ما أخبر به من حال آلهتهم ، ونفى مايدعون لهم من الإلهية .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٥] (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ، وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ)

« يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ » أى رحمته وعنايته ولطفه وإمداده فى كل

لمحة ونفس . وسرُّ وصل الآية بما قبلها من التهكم بالأنداد ، لتذكيرهم الالتجاء إليه تعالى ، والتضرع والابتهال إذا مسهم الضر وأخذت البأساء بمخانقهم . فإنهم يشعرون من أنفسهم دافعا إلى سؤاله لا مردّ له . وحاثًّا إلى اللجإ إليه لا صادّ عنه . كما بين في غير آية . مما يدل على أنه تعالى هو الحقيق بالعبادة ، لغناه المطلق ، كما قال « وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ » أى المحمود لنعمه التى لا تحصى .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٦] ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾

[١٧] ﴿ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾

« إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ » أى بممتنع . قال الزمخشرىّ : وهذا غضب عليهم ، لاتخاذهم له أنداداً ، وكفرهم بآيه ، ومعاصيهم . كما قال[1] ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾ .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٨] ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ، وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ، إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ، وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ، وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾

« وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ » أى لا تحمل نفس آثمة « وِزْرَ أُخْرَىٰ » أى إثم نفس أخرى ، بل إنما تحمل وزرها الذى اقترفته ، لا تؤخذ نفس بذنب نفس . كما تأخذ جبابرة الدنيا الولىّ بالولىّ والجار بالجار ، ولا يرد آية[2] ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ لأنها فى الضالين المضلين ، وأنهم يحملون أثقال إضلال الناس مع أثقال ضلالهم . وذلك كله أوزارهم ، ما فيها شىء من وزر غيرهم .

(١) [٤٧ / محمد / ٣٨] . (٢) [٢٩ / العنكبوت / ١٣] .

« وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ » أى نفس أثقلتها الأوزار « إِلَىٰ حِمْلِهَا » أى إلى حمل بعض أوزارها ليخفف عنها « لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ » أى لم تجب ولم تُغَثْ بحمل شيء « وَلَوْ كَانَ » أى المدعوّ المفهوم من الدعوة « ذَا قُرْبَىٰٓ » أى ذا قرابة من الداعى ، من أب أو ولد أو أخ . وهذا قطع لأطماع انتفاعهم بقرابتهم وغنائهم عنهم . وأنه لا تملك نفس لنفس شيئاً ، وأن كل امرئ بما كسب رهين . ثم بين من يتعظ ويتذكر ، فقال سبحانه « إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَمَن تَزَكَّىٰ » أى تطهر من أوضار الأوزار « فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ » .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٩] (وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ)

« وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ » مثل للكافر والمؤمن .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٢٠] (وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ)

« وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ » مثل للحق والباطل .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٢١] (وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ)

« وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ » مثل للثواب والعقاب و (ٱلْحَرُورُ) الريح الحارة بالليل ، وقد تكون بالنهار .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٢٢] (وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ، إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ، وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ)

« وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ » تمثيل آخر للمؤمنين والكافرين أى: ما يستوى أحياء القلوب بالإيمان بالله ورسوله ومعرفة تنزيله ، وأموات القلوب. لغلبة الكفر عليها حتى صارت لا تعقل عن الله أمره ونهيه، ولا تعرف الهدى من الضلال « إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ » أى يوفقه لفهم آياته والاتعاظ بعظاته « وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ » أى: كما لا يقدر أن يسمع من فى القبور كتاب الله ، فيهديهم به إلى سبيل الرشاد ، فكذلك لا يقدر أن ينتفع بمواعظ الله وبيان حججه ، مَن كان ميت القلب عن معرفة الله وفهم كتابه وواضح حججه. وهذا ترشيح لتمثيل المصرّين على الكفر بالأموات ، وإشباع فى إقناطه عليه الصلاة والسلام، من إيمانهم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٢٣] (إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ)

« إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ » أى ما عليك إلا أن تبلغ وتنذر. فإن كان المنذر ممن يسمع الإنذار نفع . وإن كان من المصرّين فلا عليك .

القول فى تأيل قوله تعالى :

[٢٤] (إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ، وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ)

« إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ، وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ » أى وما من أمة من الأمم الدائنة بملة ، إلا مضى فيها نذير من قبلك ينذرهم على كفرهم بالله ، ويزيح عنهم العلل كما قال تعالى[١] (إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) وكقوله سبحانه[٢] (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ، فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ) .

---

(١) [١٣ / الرعد / ٧] . (٢) [١٦ / النحل / ٣٦] .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٢٥] ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾

«وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ» أى : وإن يكذبوك ولم يستجيبوا لك ، فلا تبال بهم وتأس بمن كذب من الرسل السالفة . فقد جاءوهم بالآيات والخوارق المحسوسة على صحة نبوتهم ، وبالصحف المرشدة لهم إلى مسالك الفلاح والنجاح، وبالكتاب المنير لمن تدبره وتأمله، أنه الحق الناطق بالصواب والصدق . وليس المراد أن كل رسول جاء بجميع ماذكر ، حتى يلزم أن يكون لكل رسول كتاب ، بل المراد أن بعض الرسل جاء بهذا وبعضهم جاء بهذا. وجوز أن يراد بالجميع واحد ، والعطف لتغاير الأوصاف .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٢٦] ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾

«ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ، فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ» أى إنكارى بالعقوبة. وفيه مزيد تشديد وتهويل لها .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٢٧] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾

«أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا، وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ» قرأ الجمهور (جدد) بضم الجيم وفتح الدال ، جمع (جدة) بالضم، وهى الطريقة من (جدّه) إذا قطعه ، أى ومن الجبال

ذو وجدَد ، أي طرائق بيض وحمر . وإنما قدر المضاف ، لأن الجبال ليست نفس الطرائق . و (غرابيب) جمع (غربيب) وهو الأسود المتناهى فى السواد . يقال: أسود غربيب، كما يقال : أحمر قان ، وأصفر فاقع ، تأكيدا . وإنما قدم هنا، ومن حق التوكيد أن يتبع المؤكد للمبالغة ورأى بعضهم أنه مقدم من تأخير ، ذهابا إلى جواز تقديم الصفة على موصوفها.

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٢٨] (وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَـٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ، إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟ ، إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ)

« وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَـٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ » أى اختلافاً كذلك، أى كاختلاف الثمرات والجبال . وقوله تعالى « إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟ » تكملة لقوله تعالى[1] (إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ) بتعيين من يخشاه عز وجل من الناس ، بعد بيان اختلاف طبقاتهم ، وتباين مراتبهم . أما فى الأوصاف المعنوية فبطريق التمثيل . وأما فى الأوصاف الصورية فبطريق التصريح، توفية لكل واحدة منهما حقها اللائق بها من البيان . أى إنما يخشاه تعالى بالغيب ، العالمون به عز وجل ، وبما يليق به من صفاته الجليلة وأفعاله الجميلة. لما أن مدار الخشية معرفة المخشيّ والعلم بشؤونه . فمن كان أعلم به تعالى، كان أخشى منه عز وجل . كما قال[2] عليه الصلاة والسلام: أنا أخشاكم لله وأتقاكم له . ولذلك عقب بذكر أفعاله الدالة على كمال قدرته . وحيث كان الكفرة بمعزل من هذه المعرفة ، امتنع إنذارهم بالكلية . أفاده أبو السعود .

وقال القاشانيّ : أى ما يخشى اللهَ إلا العلماء العرفاء به . لأن الخشية ليست هى خوف العقاب، بل هيئة فى القلب خشوعية انكسارية عند تصوّر وصف العظمة واستحضاره لها .

(١) [٣٥ / فاطر / ١٨] . (٢) أخرجه البخاريّ فى : ٦٧ ـ كتاب النكاح ، ١ ـ باب الترغيب فى النكاح ، حديث رقم ٢٠٩٩ عن أنس بن مالك ، قطعه من حديث طويل .

فمن لم يتصوّر عظمته لم يمكنه خشيته . ومن تجلى الله له بعظمته ، خشيه حق خشيته . وبين الحضور التصوّريّ الحاصل للعالم غير العارف، وبين التجلّي الثابت للعالم العارف ـ بون بعيد. ومراتب الخشية لاتحصى بحسب مراتب العلم والعرفان . انتهى .

ويذكر بعض المفسّرين هنا القراءة الشاذة. رفع الاسم الجليل ونصب العلماء. ويتأوّلون الخشية بالتعظيم استعارة . وربما استشهدوا بقوله :

أَهَابُكِ إجلالًا وما بكِ قُدْرَةٌ عليَّ ولكن مِلْءُ عينٍ حَبِيبُهَا

وقد طعن في (النشر) في هذه القراءة . والحقُّ له . لمنافاتها للسياق والسباق . وما أغنى المنقحين عن تسويد الصحف بمثل هذه الشواذ ! وبالله التوفيق .

« إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ » أي غالب على كل شيء بعظمته، غفور لمن تاب وأناب وعمل صالحا.

القول في تأويل قوله تعالى :

[٢٩] (إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ)

« إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ » أي يداومون على تلاوته وتدبره ، للأخذ بما فيه « وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ » أي أجراً وفضلًا لا يفنى ، والتجارة استعارة لتحصيل الثواب بالطاعة . والبوار بمعنى الكساد والهلاك ترشيح للاستعارة .

القول في تأويل قوله تعالى :

[٣٠] (لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ، إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ)

« لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ » أي لأعمالهم . والشكر مجاز عن الإثابة والجزاء بالإحسان .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٣١] ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴾

[٣٢] ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ، فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ، ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾

« وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ * ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا » أى : ثم ، بعد أخذ الذين كفروا ، أورثنا الكتاب الذى هو أعظم فضل وعناية ورحمة ، المصطفين من الموحدين . ثم بيّن انقسامهم فى العمل به إلى ثلاثة ، بقوله تعالى « فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ » أى بالإثم والعصيان « وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ » أى فى العمل ، ليس من المجرمين ولا من السابقين « وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ » .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٣٣] ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ، وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾

[٣٤] ﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ، إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾

« جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ، وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ * وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ، إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ » .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٣٥] ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾

« ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ » أى الإقامة « مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ » أى تعب « وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ » أى كلال .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٣٦] ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ، كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴾

[٣٧] ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ، أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ، فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾

« وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ، كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ * وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ، أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ، فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ » أى : أو ماعشتم فى الدنيا أعمارا ينتفع فيها من يتذكر ويتبصر ؟ قال قتادة : اعلموا أن طول العمر حجة . فتعوذ بالله أن تغتر بطول العمر . قد نزلت هذه الآية ، وإن فيهم لابن ثمانى عشرة سنة .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٣٨] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾

[٣٩] ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ إِلَّا مَقۡتٗاۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ إِلَّا خَسَارٗا ﴾

« إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ * هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ » أى مستخلفين فيها . أباح لكم منافعها لتشكروه بالتوحيد والطاعة « فَمَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥ وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ إِلَّا مَقۡتٗا » أى بغضاً شديداً « وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ إِلَّا خَسَارٗا » .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٤٠] ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ كِتَٰبٗا فَهُمۡ عَلَىٰ بَيِّنَتٖ مِّنۡهُۚ بَلۡ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعۡضُهُم بَعۡضًا إِلَّا غُرُورًا ﴾

« قُلۡ » أى تبكيتاً لهم « أَرَءَيۡتُمۡ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ » أى شركة فى خلقها « أَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ كِتَٰبٗا فَهُمۡ عَلَىٰ بَيِّنَتٖ مِّنۡهُ » أى حجة وبرهان ، بأنه أذن لهم فى الإشراك « بَلۡ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعۡضُهُم بَعۡضًا إِلَّا غُرُورًا » أى فى قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٤١] (إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ، وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ، إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا)

[٤٢] (وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا)

[٤٣] (ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ، وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ، فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ، فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ، وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا)

« إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا » أى ما أمسكهما « مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ، إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا * وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا * ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ، فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ » يعنى إنزال العذاب على الذين كذبوا رسلهم من الأمم قبلهم « فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ، وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا » وفى معنى الآية قوله تعالى(١) (أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ، فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ، فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا) وقوله تعالى(٢) (وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ * لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ * لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ * فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) .

---

(١) [٦ / الأنعام / ١٥٦و١٥٧] . (٢) [٣٧ / الصافات / ١٦٧ـ١٧٠] .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٤٤] (أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ، وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ، إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا)

[٤٥] (وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ، فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا)

« أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ، وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا * وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا » أى بما اقترفوا من معاصيهم « مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ » أى من نسمة تدب ، لشؤم معاصيهم . والضمير للأرض لسبق ذكرها . « وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى » أى يؤخر عقابهم ومؤاخذتهم بما كسبوا إلى أجل معلوم عنده « فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا » أى فإذا جاء أجل عقابهم فإن الله كان بعباده بصيراً بمن يستحق أن يعاقب ، وبمن يستوجب الكرامة .